ابجراما الهجاء السياسي عند
ألكايوس الميسيني

بقلم
فكرية مصطفى صالح

يعتبر فن الهجاء من أكثر فنون الشعر اتصالا بالحياة ، وهو نقيض المدح، ومن الهجاء الذم والعتب والتأنيب والتهكم .

وقد وجد فن الهجاء عند الإغريق في بعض أغراض الشعر بداية من القرن السابع ق.م ،إذ تمثل-على سبيل المثال- في الهجاء الشخصي عند الشاعر أرخيلوخوس ٧١٠-٦٨٠ ق.م ، الذي اشتهر عبر التاريخ الأدبي بهجانياته اللاذعة ، والتي لا تحتمل من شدة العنف .

ثم تقدم فن الهجاء وارتفع عن الأحقاد الخاصة إلى مناقشة عناصر الحياة العامة ، فكان منه الاجتماعي ، وكان منه السياسي ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد يندمج الهجاء الأخلاقي مع الهجاء السياسي لبيان المفاسد والعادات القبيحة والعيوب الإنسانية على وجه العموم .

والهجاء نوع من أنواع التهكم أو السخرية ، و في ذلك يقول كوينتليانوس :

" التهكم (أو السخرية) هو إعطاء العبارة (مدلولا) يختلف عن مدلولها الواضح أو الذي يدركه (المستمع) "

εἰρωνεία quae diversum ei quod dicit intellectum [1]

"وهو نوع من أنواع الهزل"

ioci prope genus set . [2]

كما يقرر أن استخدام هذا النوع من الكتابة يعتبر صورة من صور المحسنات البديعية الخاصة بالفكر: τὰ σχήματα διανοῖας

Ironia tam inter figuras sententiae . (٣)

ويقصد بالمحسنات البديعية الخاصة بالفكر هو اعتماد الكاتب على البراعة البلاغية في نقل ما يجول بفكره من مواقف معينة ، و مدى تأثير هذه المواقف على المستمع ، وجعله يأخذ منها موقفا مثل الموقف الذي يأخذه الكاتب أو المتحدث ، على سبيل المثال - كأن يقصد الكاتب (أو المتحدث) أن يعبر عن موقف يتسم بالسخرية ειρωνεια و يريد لمستمعيه أولا أن يشاركونه في هذا الاتجاه ، وكما يحدث أيضا في مواقف الحزن و الفرح ، أو بالسعي لاقناع المستمع بفكرة معينة . و لا يعتمد هذا على تركيب خاص للكلمات ، بل على خلق اتجاه معين لدى المستمعين . ومن أمثلة ذلك استخدام الاستفهام البلاغي ερώτησις إذ أن هذا الاستفهام لا يطلب منه جواب ، وانما يحمل من المشاعر و الدلالات ما يخرج به إلى أغراض متعددة كالتشويق ، وإثارة الانتباه ، و النفي ، والتعظيم ، والتعجب والإنكار ، والتهكم و السخرية ، وغير ذلك من الأغراض البلاغية.

وفى بداية العصر السكندري نجد تطورا كبيرا في فن الابجراما ، وقد تمثل هذا التطور في استخدامها للتعبير عن أغراض متعددة كالرثاء ، والوصف ،والحب وكذلك الهجاء . إذ نجد في النصف الأول من القرن الثالث ق م . مينيبوس من جادارا Menippus of Gadara يبتكر أسلوبا يمزج فيه بين الجد والهزل ، أو ما يمكن أن تسميه "هزلي جدي" ، وهو ما عرف باليونانية σπουδογέλοιον ، كما مزج في كتاباته أيضا بين النثر و الشعر ،فجاء إنتاجه النثري مرصعا بالعديد من الأبيات الشعرية القصيرة . وقد أطلق عليه سترابون لقب σπουδογέλοιος (٤).

وفى حوالي منتصف القرن الثالث ق.م . نجد ألكايوس الميسيني يستخدم العديد من ابجراماته في أغراض التهكم والسخرية . وكان موضوعه الأساسي في هذا الاتجاه هو السخرية من الملك فيليب الخامس (٢٣٨-١٧٩ ق.م) ملك مقدونيا في ذلك الوقت .

والآن لنستعرض هذه ألا بجرامات لنرى الطريقة التي استخدمها ألكايوس فى هذا الصدد ولنحاول توضيح أسباب ذلك التهكم أو هذه السخرية .

ففي إحدى هذه ألا بجراماتت نجده يقول (وكأنه يخاطب الإله زيوس) "مد أسوارك يا زيوس الأولمبي ، فكل شئ (أصبح) سهل المنال بالنسبة لفيليب " .

وأوصد (أغلق بإحكام) أبواب الآلهة النحاسية ، فالبر و البحر تحت إمرة فيليب ،ولـــم يبق سوى الطريق إلى الأولمب .

"Μακύνου τείχη, Ζεῦ Ολύμπε πάντα Φιλίππῳ 'αμβατά. χαλκε ίας κλεῖε πύλας μακάρων .
χθών μέν δὴ καὶ πόντος ὑπὸ σκήπτροισι Φιλίππου δέδμηται' λ οιπὰ δ' ἁ πρὸς 'Ολυμπον ὁδος ". [٥]

فهنا نرى ألكايوس يستخدم أسلوب المبالغة الذي يدعو إلى السخرية ،فهناك خطر من أن يمتد سلطان فيليب الخامس إلى جبل الأولمب بعد أن شملت هذه السيطرة كل من البر والبحـــر ، وعلى الإله زيوس (كبير الآلهة) أن يأخذ الحيطة من ذلك الخطر القادم .

وهنا نجد الشاعر الكابوس لا يستمد مادته من الواقع ، لأن فكرة سيطرة فيليب الخـــامس على كل من البر والبحر لم تكن محققة في واقع الأمر ، حتى وان وضعنـــا فـــي اعتبارنـــا رأى وولبانك Walbank الذي يؤرخ هذه الابجراما بعام ٢٠١ق.م. ويذكر أن هذا العام [٦] . يمثـــل نصرا بحريا من جانب الملك فيليب الخامس على جزيرة رودس ويعلق "أرنالدو موميليانو" بـدوره أيضا على الابجراما السابقة ويشك في أن تكون عبارة :

χθων μὲ δὴ καὶ πόντος ὑπὸ σκήπτροισι Φιλίππου

تدل على أي نصر بحري أو سيطرة بحرية من جانب فيليب الخامس ،كما لم يتفق مع وولبـــانك Walbank في أن عام ٢٠١ ق.م. يشير إلى ذلك . [٧]

وتعليقا على هذه الابجراما أيضا يؤكد باتون Paton أن الكابوس كتبها بقصد الســـخرية من فيليب الخامس [٨] . ومن المرجح أن تكون هذه الإشارة من جانب ألكـــابوس المســـيني إلـــى ازدياد قوة روما وتوقع سيطرتها الكاملة على الممالك الهلينستية بأكملها ، خاصة بعد انتصارهـــا في الحرب البونية الثانية (٢١٨- ٢٠٢ ق.م.) لأن الانفراد بالسيطرة على كل من البر والبحر لم يحظ به أكثر الحكام تأثيرا في العالم الهلينستى - فعلى سبيل المثال - نجد ايسوكراتيس في دعوته لفيليب الثاني في القرن الرابع ق.م. لأخذ زعامة المدن اليونانية في حربهم ضد الفرس لم يـدع أن لذلك الملك السيطرة في كل من البر والبحر بل قال له : فلتحقق الوفاق بين المدن اليونانيـــة لأن

لديك الثروة πλοῦτον والقوة δύναμιν الثروة لتحقيق الوفاق بين المدن اليونانية ، والقـــوة لشن حرب ضد الملك الفارسي [٩]

كما نجد أيضا في ايجراما لأسكليبيادس والتى يصف فيها تمثالاً صنعه الفنان ليســيبوس للاسكندر المقدونى ، نجده يصور الإسكندر الأكبر وكأنه يقول لزيوس : لقد سيطرت أنـــا علـــى الأرض ، وتركت لك السيطرة على جبل الأولمب :

"αὐδασοῦντι δ' ἐοικεν ὁ χάλκεος ἐς Διὰ λεύσσων ·
Τὰν ὑπ' ἐμοὶ τίθεμαι · Ζεῦ , σὺ δ' Ὄλυμπον ' ἔχε." [١٠]

وفى ايجراما أخرى نجد ألكايوس الميسيني يهجو فيليب الخامس عن طريق مزج الخيـال بالواقع ، وذلك باستخدام شخصيات أسطورية مألوفة لدى الإغريق بكل مـــا تتصـف بـــه هـــذه الشخصيات من صفات أكانت سيئة أو حسنة .

وبالطبع نجد الشاعر هنا يستخدم الشخصيات السيئة المناسبة لغرض الهجاء ، فها هـــو ألكايوس الميسينى يظهر عداوة واضحة للغاية لفيليب الخامس ، ويضعه فى صـــورة تجلـــب لـــه الكثير من السخط والازدراء والسخرية ، وذلك عن طريق تشبيهه –وبطريقة مقنعة بعض الشـــئ – بالكركلوبس . ولنستعرض الآن هذه الايجراما لنرى أوجه الشبه التى قصد أن يأتى بها الشـاعر بين المهجو والكوكلوبس ،وماذا كان هدف الشاعر فى ذلك .

يبدأ ألكايوس الايجراما قائلاً :

"إنني أتجرع الخمر يا باخوس أكثر مما تجرعه الكوكلوبس عندما ملأ جوفه بلحوم البشر (الرجال) :

"Πίομαι, ὠ Ληναῖε, πολύ πλέον ἢ πιε Κύκλωψ νηδὺν ἀν δρομέων πλησάμενος κρεαων ."

ليتنى أستطيع أن أحطم رأس عدوى فيليب وأسحق عظامها (عظام الجمجمة) :

Πίομαι. ὡς ὄφελόν γε καὶ ἔγκαρον ἐχθροῦ ἀράξας βρέγ μα φιλιππείης ἐξέπιον κεφαλῆς ."

فيليب الذى تجرع (تذوق) دماء أصدقائه ، كما لو كان يتجرع كئوس الخمـــر ، وذلـــك بعـــد أن سكب السم فى الخمر الصافي (غير المخلوط بالماء) :

ὅσπερ ἑταιρειοιο παρὰ κρητῆρι φόνοιο γεύσατ ', ἐν ἀκρῃ τῳ φάρμακα χεύάμενος . (١١)

ولنناقش الآن ما جاء في هذه الابجراما ، كي ندرك ما بها من مدلولات واشارات.

- بدأ ألكايوس الميسيني بالحديث عن التركتوبس . ذلك المارد الشرير الذي ملأ جوفه بلحوم البشر . ونجد أن الشاعر هنا قد استحضر في مخيلته ما روى من أساطير عن بوليفيموس، ذلك المارد الذي أمسك باثنين من رفاق أوديسيوس أولاً ، ثم ضرب برأسيهما الصخرة ، فبرز المخ من عظام الجمجمة (١٢) ، وبعد ذلك التهمهما في شراهة بالغة .

وهنا يأتي الشاعر بالكلمات التي تشير الى رغبته في تشبيه فيليب الخامس بهذا المخلوق الشرس ، و نجده يفصح صراحة عن اسم فيليب ، و يتمنى لو أنه يستطيع أن يفعل به مثلما كان يفعل الكركلوبس بضحاياهم ، فيتمنى أن يوشم رأسه ، و يأتي على عظامها عن آخرها . و هذه الكلمات وإن دلت على شئ إنما تدل على أن ألكايوس كان ينظر الى فيليب الخامس على أنه عدو لدود . ومن المرجح أن يكون تاريخ هذه الابجراما بعد هجوم فيليب الخامس على ميسينا عام ٢١٥ - ٢١٤ ق . م ، ذلك الهجوم الذي وصفه بوليبيوس بالقسوة و العنف إذ قال :

" عندما قدم فيليب الى ميسينا قام بتخريبها بطريقة عدائية ، ولم يحكم في ذلك عقله بل هواه (أي فعل ذلك بغضب شديد) " :

ὅτι φίλιππος παραγενόμενος εἰς τὴν Μεσσήνην ἔφθειρε τὴν χώ ραν δυσμενικῶς , θυμῷ τὸ πλεῖον ἢ λογισμῷ χρώμενος . (١٣)

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فلقد ذكر ألكايوس صراحة أن فيليب الخامس قد تخلص من أصدقائه و المقربين اليه بوضع السم لهم فيما يحتسونه من خمر ، كما صوره و كأنه ذئب يتلذذ بتجرع دماء البشر .

و قد عبر بوليبيوس عن ذات المعنى عند ألكايوس ، و لكن بطريقة مختلفة فيرى بوليبيوس أن فيليب الخامس لم يتحول من رجل الى ذئب ، و لكنه تحول من ملك الى حاكم قاس مستبد :

οὐ λύκος ἐξ ἀνθρώπου ἀλλὰ τύραννος ἐκ βασιλέως ἀπέβη πικρός .

كما لو كان ولوعاً بدماء البشر :

καὶ καθάπερ ἂν ἐγγευσάμενος αἵματος ἀνθρωπείου καὶ τοῦ φονεύειν καὶ παρασπονδεῖν τοὺς συμμάχους . (١٥)

وتروى بعض المصادر أن فيليب الخامس قام بالفعل بالتخلص من العديد من أصدقائه والمقربين إليه . وفى ذلك يروى بوليبيوس أن فلامينينوس Flamininus – ذلك القائد الروماني الذى هزم فيليب الخامس فى معركة كينوسكيفالاى Cynoscephalae – و فى مناسبة عقد اتفاق سلام بينهما ، و عندما تبرم فيليب من أن القائد الرومانى جاء ومعه العديد من الرفقاء ، وأنه – أى فيليب يقف بمفرده دون رفيق يسدى له النصح، ويقدم إليه المشورة ، رد عليه القائد الرومانى قائلاً :

'بطبيعة الحال، انت وحدك الآن يافيليب، لأنك قتلت جميع أصدقائك، الذين كانوا سيقدمون لك المشورة ' :

"εἰκότως Φίλιππε, μόνος εἶ νῦν · τοὺς γὰρ φίλους τοὺς τὰ κράτιστά σοι συμβουλεύσοντας ἀπώλεσας ἅπαντας . (١٥)

ويورد بلوتارخوس أيضاً نفس هذه الرواية السابقة ــ على لسان القائد الرومانى تيتوس فلامينينوس (١٦) . وذلك ان دل على شئ إنما يدل على أنها قد تناقلت عبر الأجيال .

ــ ويبدو أن من أبرز الشخصيات التى اتهم فيليب الخامس بقتلها ، على الرغم من قربها ونصحها الدائم له ــ هو أراتوس الكبير ، على الرغم من أن بوليبيوس وضح فى كتاباته أن محاولات القائد أبيليس Apelles للايقاع بين فيليب الخامس وأراتوس الكبير باءت جميعها بالفشل، كما ظل فيليب يقدر أراتوس الكبير ، وارتاب من سلوك أبيليس :

δἰο καὶ τὸν μεν "Αρατον ἀπὸ ταύτης τῆς ἡμέρας ἀεί καὶ μᾶλλον ἀπεδέχετο καὶ κατηξίου , πρὸς δὲ τὸν Ἀπελλῆν λοξότερον εἶχε . (١٧)

ــ وتمثل هذه الابجراما فى شكلها الأدبى محاكاة لأغانى الشراب تلك الأغانى التى كانت تؤدى بمصاحبة الفلوت أثناء حفلات الشراب ، وهى تتميز بقصر أبياتها مثل الإبجراما :

ὀλιγόστιχα ὡς ἐπιγράμματα (١٨)

وفي مرضع آخر من ايجراما ألكايوس الديسيني نجده يشير الى فيليب الخامس على أنه من الكنتاوروس ، ولنستعرض الآن هذه الايجراما ، محاولين فهم قصد الشاعر منها .

يقول ألكايوس :

" لقد أهلك الخمر الكنتاوروس ، ولم يقضِ عليك وحدك ياايبكراتيس ومعك كالياس ، بل في أزهى سني حياتك " :

οἶνος καὶ Κένταυρον, Ἐπίκρατες, οὐχὶ σὲ μοῦνον, ὤλεσε
ν, ἠδ' ἐρατὴν Καλλίου ἡλικίην .

حقاً إن ذلك الوحش ذا العين (١٩) الواحدة هو المسئول عن كأس الخمر الذي ذهب بكل من
الى خارون (٢٠) فلترسلا إليه من هاديس نفس الكأس (الشراب) على وجه السرعة :

ὄντως οἰνοχάρων ὁ μονοὐμματος, ᾧ σὺ
τάχιστα τὴν αὐτὴν πέμψαις ἐξ Ἄϊδεο πρό ποσιν (٢١)

ففي الإيجراما السابقة نجد هناك إشارة الى أن فيليب — ولو لم يصرح الشاعر باسمه هذه المرة — تخلص من شخصين هما ايبكراتيس Epicrates وكالياس Callias وبالطريقة التي شاعت عنه ، ألا وهي وضع السم في الخمر ، واستخدم كلمة οινο-χαρων كلقب او كنية له .

ويقول " باتون " (٢٢) أن ايبكراتيس هذا شاعر كوميدي ، في حين أن كالياس شاعر تراجيدي . ولعلنا لا ندرك سببا يجعل الملك فيليب الخامس يتخلص من هذين الشاعرين . ويستبعد وولبانك أن يكون ايبكراتيس شاعر كوميدي ، وكالياس شاعر تراجيدي ويقول إن هذا شئ بعيد الاحتمال ، ويفترض أنهما من الإغريق لأنهما لو كانا مقدونيين لما تحدث ألكايوس بهذا الانفعال العاطفي الشديد ، ثم يستكمل وولبانك حديثه قائلا أن الاغتيالات التي قام بها فيليب الخامس — إن لم تكن دعاية وجهت ضده — فهي ترتكز على أسس وأسباب سياسية لا عن عاطفة أو هوى (٢٣) .

أما بالنسبة لعبارة ألكايوس إن الخمر قد قضى على الكنتوروس (٢٤) فتلك إشارة الى معركتهم القاتلة مع اللابيتاي ، تلك المخلوقات الخرافية التي كانت تعيش في تساليا ، فكانت

تناصب الكنتوروس العداء ، والذى أدى فى النهاية الى نشوب معركة كبيرة بينهم خـــرج منـــها الكنتوروس مهزومين ، كما تم قتل عدد كبير من بينهم .

ويروى عن الكنتاوروس أيضا ميلهم إلى الحروب ، ومعاقرة الخمر ، ومعاشرة النسـاء ويبدو أن الكايوس أراد بالإشارة اليهم فى هذه الإبجراما أن يبين مدى تشابه فيليب الخامس معـــهم فى بعض تلك الصفات السيئة [٢٥] . ومن الممكن أن يكون دافع الشاعر لهذا التصور هو هجـــوم فيليب على ميسينا ، ومعاملة أهلها بطريقة تتسم بالقسوة والطغيان .

ـ أما عن حب الخمر والإسراف فى شربها ، فقد رأينا فى عرضنا لإبجرامـــا ســـابقة الإشارة فيها من جانب ألكايوس الميسينى الى أوجه الشبه بين فيليـــب الخـــامس وبولوفيمـــوس ، والذى كان يعشق الخمر عشقا لا حدود له ـ حسبما تروى الأساطير .

وفى هذا الصدد نجد اثينايوس يعقد مقارنة بين فيليب الخامس وبين ابنه وخليفتـــه فـــى الحكم ، والذى حاول إعادة مقدونيا إلى سابق مجدها ، مما أدى إلى وقوع الحرب المقدونية الثالثة بين مقدونيا وروما وانتهت بانتصار روما وانتهت بعد معركة بيدنا Pydna عام ١٦٨ ق.م فقـال أثينايوس إن برسيوس الذى قضى عليه الرومان لم يمت بتلك الطريقة (أى لم يمـــت مـــن شـــدة السكر (ὑπὸ μέθης) لأنه لم يقلد أباه فيليب فى أى أمر ، إذ أن برسيوس لم تشغله النساء ، ولـــم يكن عاشقا للخمر ، بل على العكس من ذلك ، فقد كان يشرب الخمر فى المآدب باعتدال ، وكذلك كان يفعل أصحابه :

- ἀλλ' οὐ Περσεὺς ὁ ὑπὸ Ρωμαίων
- καθαιρεθεις . κατ' οὐδὲν γὰρ τὸν πατέρα
- φίλιππον ἐμιμήσατο . οὔτε γὰρ περὶ γυναῖκας
- ἐσπουδάκει οὔτε φίλοινος[٢٦] ἦν, ἀλλὰ
- καὶ οὐ μόνον αὐτὸς μέτριον ἔπινε.
- δειπνῶν, ἀλλὰ καὶ οἱ συνόντες αὐτῷ
- φίλοι, ὡς ἱστορεῖ Πολύβιος ἐν τῇ ἕκτῃ καὶ εἰκοστῇ .[٢٧]

وفى عام ١٩٧ ق.م. وعندما انتصر الرومان بقيادة القـــائد فلامينينـــوس فـــى معركـــة كينوسكيفالى Cynoscephalae نجد ألكايوس ينادى بأن فلامينينوس هو محقـــق الحريـــة لبـــلاد

اليونان ، مقارنا في هذا الصدد بينه وبين الملك كسركسيس عندما غزا بلاد اليونان فيما مضى ، أي في القرن الخامس ق.م. إذ قال ألكايوس في هذا :

" قاد كسركسيس جيشا فارسيا الى بلاد اليونان ، في حين أن تيتوس قاد جيشا من ايطاليا المتسعة الأرجاء ، ولكن الاول أراد أن يضع نير العبودية حول رقبة أوروبا ، في حين أن الآخر وضع نهاية لعبودية بلاد اليونان " .

- "Αγαγε καὶ Ξέρξης Πέρσαν στρατὸν
- Ελλάδος ἐς γᾶν, καὶ Τίτος εὐρείας
- ἄγαγ' ἀπ' Ιταλίας . 'αλλ' ὁ μὲν Εὐρώπα
- δοῦλον ζυγόν αὐχένι θήσων ἦλθεν,
- ὁ δ'ἀμπαύσων Ελλάδα δουλοσυνας .[٢٨]

ولاشك أن هذه الإبجراما تمثل في ظاهرها إطراء وتمجيد لقوة روما التي زحفت على العالم الهلينستي بعد أن توالت انتصاراتها في ذلك الوقت ، خاصة على يد القائد تيتوس فلامينينوس .

ونجد أن الإتجاه الذي أصبح سائدا في ذلك الوقت في العالم الهلينستي هو التوجه نحو تمجيد روما . ويبدو أن ما دعى ألكايوس أن يلقب القائد تيتوس فلامينينوس بمحرر بلاد اليونان أو بواهب الحرية لهم هو حصول ذلك القائد على تأييد الإغريق خلال الحرب المقدونية الثانية ضد فيليب الخامس (عام ٢٠٠ - ١٩٦ ق.م.) ، فعقب المعركة الفاصلة عند كينوسكيفالاى عام ١٩٧ق.م. انتصرت روما وألزمت مقدونيا بالتبعية ، وانحصر نفوذ فيليب الخامس في مقدونيا ، كما وضع فلامينينوس حدا لادعاءات الايتوليين في تساليا ، وفي عام ١٩٦ ق.م. وأثناء إنعقاد دورة الألعاب الإسثمينية أعلن فلامينينوس ما أسماه بحرية بلاد اليونان ، وتفاخر بذلك . إذ ذكر بلوتارخوس أن فلامينينوس كان أكثر الناس تفاخرا بأن حقق الحرية لبلاد اليونان :

καὶ αὐτὸς δὲ μέγιστον ἐφρόνησεν ἐπὶ τῇ τῆς Ελλάδος ἐλευθερώσει. [٢٩]

ومن المرجح أن يكون مدح ألكايوس للقائد فلامينينوس ثم مقارنته بغزو كسركسيس أيضا لبلاد اليونان إنما هو من قبيل الإشارة الى أن كليهما غزو أجنبي ، فأحدهما فارسي والآخر روماني ، ويكون ذلك بقصد السخرية أيضا من فيليب الخامس

ولعل الإبجراما التالية تؤكد وجهة نظرنا هذه ففيها يسخر ألكايوس من الملك فيليب الخامس ، مشيرا الى فراره وهزيمته فى معركة كينوسكيفالاى عام ١٩٧ ق.م. وعدد ضحايا هذه المعركة والذين قدرهم الشاعر بثلاثين ألف قتيل ، فنجده يقول فى ذلك :

" أيها المار ــ لا تذرف الدمع ــ فنحن نرقد ها هنا فوق هذا التل في تساليا ولم نوارى التراب ، ثلاثون ألف (قتيل) ــ إنها لمحنة بالغة ، وقد تلاشت روح فيليب المغوارة وفرت هاربة بطريقة أكثر سرعة من الأيل :

Ἀκλαυστοι καὶ ἄθαπτοι, ὁδοιπόρε, τῷδ' ἐπὶ τύμβῳ Θεσσαλίας τρισσαὶ κείμεθα μυριάδες,
Ἠμαθίῃ μέγα πῆμα . τὸ δὲ θρασὺ κεῖνο Φιλίππου πνεῦμα θοῶν ἐλάφων ὤχετ' ἐλαφρότερον.[٣٠]

وقد ذكر بلوتارخوس أن ألكايوس إنما ألف هذه القصيدة بهدف السخرية من فيليب:

τοῦτο ἐποιήσε μὲν Ἀλκαῖος ἐφυβρίζων φιλίππῳ ,

وأن كاتبها غالى فى بيان عدد الضحايا :

τὸν ἀριθμὸν τῶν ἀποθανόντων ἐπιψευσάμενος

ولقد تم إلقائها فى أماكن عدة (فى أرجاء العالم اليونانى) πολλαχοῦ وعلى لسان العديد من الأشخاص ὑπὸ πολλῶν مما سبب الضيق لتيتوس أكثر منه لفيليب .

وأوضح بلوتارخوس السبب فى ذلك بقوله :

لأن فيليب وببساطة ــ هزأ بالكايوس (جعلة أضحوكة) فى بيتين من الشعر قائلا :

" أيها المار لقد أقيم (غرس) لألكايوس فوق هذه الصخرة نصب [٣١] دون لحاء أو أوراق ، وهو يطاول عنان السماء :

Ἄφλοιος καὶ ἄφυλλος, ὁδοίπορε, τῷδ' ἐπὶ γώτῳ .
Ἀλκαίῳ σταυρὸς πήγνυται ἠλίβατος [٣٢] .

وبعد أن أستعرضنا غرضا أدبيا من أغراض فن الإبجراما عند ألكايوس الميسينى ، ألا وهو النهجاء السياسى نستخلص مايلى :

اولا : من الناحية السياسية وهذه النقطةخاصة باختيار الموضوع ، حيث نجد الشاعر قد وجه هجاءه الى ملك من الملوك وهو فيليب الخامس ملك مقدونيا فى ذلك الوقت ، وقد سلط الضوء على مارآه فى ذلك الملك من حماقات وأخطاء .

ومع أن فن الهجاء يستند فى كثير من الأحيان الى قيم الحياة الواقعية ، مما يدفع الشعراء للحديث عن أشياء يعايشونها ويأخذون منها موضوعاتهم ، وذلك على سبيل المثال كما أشار ألكايوس الميسينى الى ظروف العالم الهلينستى وترقبه لتعاظم قوة روما ، وبداية سيطرتها على ذلك العالم، إلا أن تغيرالزمن واختلاف الظروف قد لايفقد موضوع الهجاء قيمته وتأثيره عبر الأجيال ، خاصة إذا ما تخير الشاعر موضوعا يتناول فيه عبرا تاريخية ، أو يبين أحوال الأمم السابقة فى قالب نقدى ، أو يستند فى موضوعة الى عواطف إنسانية عامة ، أو ملاحظات هزلية ودعابات ساخرة وهادفة فى ذات الوقت ، فيبقى هذا الشعر محتفظا بقيمته عبر العصور ، خاصة عندما تتضاءل شخصية الفرد بشكل ملموس ويصبح موضوع الحديث شيئا حيا ومنهجا عاما .

ثانيا: من الناحية الأدبية : نجد ان الشاعر ألكايوس الميسينى قد تميز فى عرض أفكاره بدقة الملاحظة ، فكانت مواقفه الهجائية لاتحتاج الى عمق فى التفكير أو خيال ممتاز ، ولكنه رزق العين النافذه التى تحسن اختيار مواطن الضعف فى الشخص محل الهجاء .

كما وجدناه فى كثير من الأحيان يؤدى فكرته أداء مباشرا وصريحا ، كما استخدم المقارنة فى بعض الأحيان ، تلك الطريقة التى تزيد الفكرة وضوحا والتعبير جمالا ، كما اعتمد على الوضوح والتأثير السريع ، فأمتاز اسلوبه بالبساطة التى لاأثر فيها للتكلف ، وهذه بطبيعة الحال من السمات الادبية المميزة للإيجراما ، والتى تحتمل أبياتها القصيرة ألا البساطة والوضوح .

لذلك فقد كان الكايوس بعيدا عن الاسراف فى الصناعة هذا ، وقد حاول أن يعبر عن أفكاره جامعا فى شعره بين قوة التعبير والإيجاز الرائع .

وأخيرا فإن الهجاء ليس إلا ملاحظات من صميم الواقع ، يندد فيها الشاعر بمظاهر سلبية فى المجتمع الذى يعيش فيه ، من خداع ونفاق وغرور ، وقسوة ، وأنانية وغير ذلك من المظاهر التى تكون موضوعا خصبا للمعالجات الأدبية المختلفة .

Notes

1. Quintilian , VI.II.15.
2. Ibid ,VI.III.68.
3. Ibid , IX.1.3.
4. Strabo , XVI.P.759.
5. Greek Anth.IX.518.

تذكرنا هذه الابجراما بأخرى للشاعر ألفيوس من ميتيلنى Alpheus of Mytilene فى العصـــــر الأوغسطى – و لكن يقصد هنا سيطرة روما على كل من البر و البحر لم يبق سوى الطريق الـى السماء (الأولمب).

- κλεῖε, θεός, μεγάλοιο πύλας ἀκμῆτας Ὀλύμπου ·
- φρούρει, Ζεῦ, ζαθεἰαν ἀιθερος ἀκρόπολιν .
- ἤδη γὰρ καὶ πόντος ὑπέζευκται δορὶ Ῥώμης
- καὶ χθών ' οὐρανίη δ' οἶμος ἔτ' ἔστ' ἄβατος .

Greek Anth.IX.529.

6. Cf.Walbank , F.W.,C.Q.P.137 , vol 36 , 1942.
7. Cf.Momigliano , A.,JRS , XXXII , PP. 53 - 54 , 56 note 15 1942.
8. Cf.Paton , W.R., Greek Anth. Vol III P.286 note I (L.C.L.)
9. Cf. Isocr. To Philip 15 -16.
10. Greek Anth. (Asclep) XVI. 120.
11. Greek Anth. IX. 519.
12. Cf. Homer , od. IX. 290.

ἐκ δ 'ἐγκέφαλος χαμάδις δεῦε δὲ γαῖαν.

13. Polyb. VIII. 8. 1-2.
14. Ibid VII. 13. 7-8.
15. Ibid XVIII. 7.6.
16. Cf. Plutarch`s Maralia 197 A.
17. Cf. Polyius , IV. 86. 7-8.
18. Cf. Lyra Graeca , Scolia no. 3.
19. يمكن أن تكون هذه اشارة الى السخرية من فيليب الثانى و الذى كان ذا عين واحدة ، و ذلك على سبيل الاستخفاف من جانب الشاعر بأسلاف فيليب الخامس

Cf. Momigliano , JR.S. 1942 PP. 56 -57.

20 . خارون Charon .هذا - حسبما تروى الأساطير - هو من يحمل أشباح الموتى عـبر أنهار العالم السفلى مقابل مبلغ زهيد (أوبل) . ولاعتقاد الاغريق بهذا فقد اعتادواعلى أن يضعوا فى فم المتوفى قطعة معدنية (عملة) كأجر لخارون.

21 . Greek Anth . XI. 12

22 . Ibid XI 12 .P 42 .note

23 .Cf . Walbank , C.Q.P 7. Vol 37 , 1943 .

24 . جاء عند الشاعر نيكارخوس فى القرن الاول الميلادى نفس هذه العبارة عند الحديث عن الكنتوروس , أيضا فقال

οἶνος καὶ Κένταυρον ἀπώλεσεν .

cf. Greek Anth .XI ..I (Nicarchus)

25 . مع أن من بينهم من يحب البشر ويصادقونهم ويعلمونهم، إذ اشتهر من بينهم "خيرون" بوصفه معلما حكيما للآلهة والبشر .

26 . نقل عن ألكايوس من ليسبوس ٦٢٠ ق.م. قوله بأن المخمورين يكشـــفون عمـا يجـول بخاطرهم (من اسرار) :

-"οἱ οἰνωθέντες τὰ τοῦ λογισμοῦ
- ἀπόρρητα ἐκφαίνουσιν .

cf. Lyra Graeca vol I p. 425. 169(L.C.L.)

27. cf. Athenaeus, Diepnosoph.,X. 445 d

نجدعند بوليبوس مقارنة بين كل من فيليب الخامس وابنه برسيوس فى طريقةكل منهما فى حياته، وقد نقل أثيناويوس ذلك عنه . cf. Polyb. XXX. 3.7

- "ἐπεφεύγει δὲ καὶ τὴν πατρικὴν
- ἀσέλγειαν τήν τε περὶ τὰς γυναῖκας
- καὶ τὴν περὶ τοὺς πότους,"

وعن فيليب وعلاقاته النسائية كما أوردها بوليبيوس .cf. Polyb. X.26

28. Greek Anth. XVI.5.

29. Plutarch 's lives, XII.6.

30. Greek Anth. 247 .

31. كان يمثل هذا النصب عند الإغريق على شكل حرف T .

32. cf. Plutarch's lives, flam. IX.2.

المراجع

اولا: المصادر

1- Athenaeus, Diepnosohists (L.C.L.)
2- Greek Anth. (Asclepiades) (L.C.L.)
3- Greek Anth. (Alcaeus of Messene) (L.C.L.)
4- Homer, Odyss. (L.C.L.)
5- Isocrates (L.C.L.)
6- Lyra Graeca (L.C.L.)
7- Plutarch's lives (L.C.L.)
8- Plutarch, Moralia (L.C.L.)
9- Polybius (L.C.L.)
10- Quintilian (L.C.L.)
11- Strabo (L.C.L.)

ثانيا : المراجع الأجنبية:

1- Momigliano, A., Alien Wisdom, Cambridge, 1974
2- Momigliano, A., Journal of Roman studies, 1942.
3- Walbank, F.W. Classical Quart. Vol 36, 1942.
4- Walbank, F.W. Classical Quart. Vol 37, 1943.